خطبة : أصحاب السبت

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

نقف اليوم مع قصة من القصص القراني

فيها تحذيرٌ ونكير عن التحايل على شرع الله تعالى وأحكامه ،، تحكي عن قرية سكنها اليهود لتنتهي بمسخ فئةٍ منهم الى قردةٍ خاسئين ، فكيف حدث هذا ؟

ولماذا حلتّ بهم هذه العقوبة الربانية ، ولمَ لمْ تشملهم جميعا ؟ إنها قصةُ أصحابِ السبت عباد الله الذين تحايلوا على أمر الله وتجاوزوا شريعته

بدأ القران بسرد قصتهم ببيان موقع قريتهم أنها على شاطيء بحر ، قال تعالى " وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)

إسأل اليهود هؤلاء يامحمد صلى الله عليه وسلم عمّا فعله أسلافُهم من تحايلٍ ومخالفةٍ لشرع الله ، تذكيرا وتنبيها ووعظا لهم ، فقد كان من شرعهم ألا يعملوا يوم السبت ، فكان هذا الإبتلاء والإمتحان من الله جلّ وعلا ، بسبب فسقهم ،

فإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ أقبل السمكُ بكثرة وظهر على سطح البحر ، فَإِذَا مضى السَّبْتُ غَاصَ فِي الْبَحْرِ وإبتعد ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانُهُ: ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [الأعراف: 163].

إختبارا وإبتلاءا وإمتحانا من الله جلّ وعلا لإيمانهم وطاعتِهم وإلتزامهم بشرع الله ، فما الذي فعلوه ؟ وهل التزموا دين الله وشرعه ؟

لقد تجرأت فئةٌ منهم واحتالت على أمر الله فحفروا حفرا على شاطيء البحر يوم الجمعة ونصبوا شباكهم فكانت الأسماك تقع يوم السبت في الحفر والشباك بعد إنحسار البحر ، فإذا كان يوم الأحد أخذوها وأكلوها ،

فَعَلُوا ذَلِكَ زَمَانًا فَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَلَمْ تنْزَلْ عَلَيهُمْ عُقُوبَةٌ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَجَرَّؤوا عَلَى الذَّنْبِ، وَقَالُوا: مَا نَرَى السَّبْتَ إِلَّا قد أُحِلَّ لَنَا الْعَمَلُ فِيهِ، فَلمَّا إستمرأوا ذَلِكَ صَارَ أهْلُ الْقَرْيَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:

صنْفٌ ثَبَتُوا عَلَى دِينِهِمْ ، فَأَمْسَكَوا وَنَهَوا عَنِ الصَّيْدِ يوم السبت واعتزلوا تلك الفئة المعتدية وأنكروا عليهم فعلهم هذا ،،

وَصنْفٌ أَمْسَكَوا عن الصيد وَلَمْ يَنْهِوا .

وَصنْف انْتَهَكَوا حُرُمَاتِ اللهِ وحدوده .

فلما استنكرت الفئةُ التي سكتت على المنكرين إنكارهم على الفئة العاصية

 بَيَّنُوا الْعِلَّةَ فِي النُّصْح لهم والإنكار عليهم، كَمَا حَكَى اللهُ عَنهُمْ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 164]، فَهُوَ وَاجِبٌ للهِ نُؤَدِّيهِ أَلَا وَهُوَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالتَّخْوِيفُ مِنَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ، وَلِنعذرَ إِلَى اللهِ ،. ثُمَّ لَعَلَّ النُّصْحُ يُؤثِّرُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْقُلُوبِ الْعَاصِيةِ فَيُثِيرُ فِيهَا الْخَوْفُ مِنَ اللهِ وَالتَّقْوَى،

لَكِن الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ الْمُحْتَالَة لَمْ يُجْدِ مَعَهَا نُصْحٌ، وَلَمْ يَنْفَعْ مَعهَا التَقْرِيعٌ وَالتَخْوِيفٌ،

ورُغم وعظِهم وتذكيرهم بأمر الله إلا أنّهم نسوا ما ذُكِّروا به، وظلوا على اعتدائهم، فأخذهم الله بعذاب بئيس، لم ينج منه إلا الذين ينهون عن السوء، وهم الواعظون الناهون عن المنكر. " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165)

ورغمَ حلولِ العذاب البئيس لم ينته المعتدون ولم يتوبوا إلى الله، بل عتوا واستكبروا عمّا نهوا عنه، وعندئذ حلّ بهم عذابُ المسخ ،

فقال جلّ وعلا : " فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " (166) مسخهم الله قردة ، وجعل هذه العقوبة نكالًا أي: ردعًا وزجرًا لمن عاصرها في وقت وقوعها، فرآها بعينه أو سمع بها،

ولمن أتى بعدها وعلم بها، وجعلها أيضًا موعظةً للمتقين، ليعلم الناس جميعا سوء عاقبةِ الاعتداء على شريعته وانتهاك أوامره ونواهيه ،،

نظر المصلحون المنكرون من وراء السور وإذا بالقوم قد مُسخوا قردة ، قيل كان أحدهم يأتي لقريبه والدموعُ تنحدر من عينيه ، فيقول له : ألم ننهكم عن مخالفة أمر الله ؟ ألم نحذّركم من عقوبته ؟ فيهزّ القرد رأسه بحسرة وندم .

هكذا كانت النهاية ، مسخٌ وذلةٌ وإنتكاسٌ لمن تجرّأ على شرع الله وإحتال على أوامره ، ونجاةٌ وسلامٌ لمن أنكر ونهى عن تلك المخالفة وحقّق أمرَ الله ، وأدّى واجبَ الإصلاح والنصح .

وفقنا الله للبّر والتقوى وأعاننا على العمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فإستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

الإلتزامُ بشرع الله بأمانةٍ وصدق ، والتقيدُ بأوامره وتحرّي حدوده وإجتنابُ نواهيه درسٌ بليغٌ في قصة أصحاب السبت ، قال تعالى

" وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49 المائدة)

ومن دروسها إجتنابُ التحايلِ على أحكام الشرع وحدوده ، فتلك صفةُ نفاقٍ وفسوق

وَلِهَذَا حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَا تَرْتَكِبُوا مَا اِرْتَكَبَ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ»

ومن صورِ التحايل على الشرع تسميةُ المحرماتِ بغير إسمها إلتفافا على أمر الله

 قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)((ليشرَبن أناسٌ من أمتي الخمرَ يسمّونها بغير اسمها)).صححه الألبانى

ومن دروسها أهمية فريضةِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صلاح المجتمعات ، وتحقيق الأمن الإجتماعي ، وفي نجاة المصلحين من المؤاخذة الربانية قال تعالى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) ....

وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))؛ رواه مسلم

ومن دروسها نبذُ السلبيةِ واللامبالاة تجاه المتكرات ومظاهر الفساد ، وتجاه جهود المصلحين بل الواجب رفع الصوت بالاصلاح ودعمِ جهود المصلحين ومؤازرتهم ، فإن الإيجابية سبيلُ النجاة من الخسران ، قال تعالى " وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر:1-3]